نحالين بين مذبحتين

عندما أطلق الجنود الاسرائيليون عياراتهم النارية الأولى في قرية نحالين، القابعة، منذ قرون عدة، على سفح هضبة في واد زراعي غير بعيد من بيت لحم، مبدّدين، بذلك، السكون الذي كانت تعيشه القرية في ساعات الفجر الأولى، استيقظ فؤاد عوّاد نجاجرة على الفور. كان في السادسة عشرة من عمره، طالباً في المدرسة الثانوية، لكنه لم يتردد لحظة؛ حمل «بقيفته» وخرج مستعداً لخوض معركة مع الاسرائيليين الذين أغاروا على القرية. لكنه ما أن غادر البيت الى الشارع حتى وضعت أمامه صورة الكارثة؛ اذ شاهد الفوضى، وسمع جلبة واضطرابات كانت مؤشراً الى بداية حادث أصبح الأكثر دموية في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، منذ بدأت الانتفاضة الشعبية، قبل سبعة عشر شهراً (هيلين وينترنيتز، «نحالين؛ نموذج لقرية مناضلة ضد الاحتلال»، **القبس**، الكويت، ١٩/٤/١٩٨٩؛ نقلاً عن **الصنداي تلغراف**، بدون ذكر تاريخ النشر). فقد ارتكبت قوة من رجال «حرس الحدود» الاسرائيليين مجزرة بشعة ضد أهالي نحالين، سقط خلالها أربعة من ابنائها شهداء، هم صبحي محمد شكارنة (٢١ عاماً)، ورياض محمد غياضة (٢٢ عاماً)، وفؤاد يوسف نجاجرة (١٦ عاماً)، ومحمد حسن خليل (٢٢ عاماً) (**الرأي**، عمّان، ١٤/٤/١٩٨٩). ووفقاً لمصادر اسرائيلية، فقد سبق الغارة ممارسات استفزازية كثيرة قام بها جنود من قوات حرس الحدود. فعلى امتداد الأسبوع السابق لوقوع المذبحة، اعتاد عدد من شرطة حرس الحدود التوقف بسيارتهم الجيب العسكرية على مقربة من نحالين، على الطريق المؤدية الى مستوطنة عتسيون. وكان هؤلاء يوجّهون الشتائم البذيئة إلى المارّة من السكان، أو من هم داخل القرية، عبر مكبّر للصوت ثبتّ على السيارة، كالتهديد باغتصاب بناتهم وهتك أعراضهم والتلويح بالقيام بمذابح مماثلة لمذابح صبرا وشاتيلا التي وقعت في المخيمين، في أيلول (سبتمبر) ١٩٨٢. ووصلت استفزازات حرس الحدود لسكان نحالين أن وقف أحدهم، ذات مرة، وخلع سرواله قبالة عدد من المارة (جويل غرينبرغ، «ماذا حدث في نحالين ؟»، **جيروزاليم بوست**، ٢١/٤/١٩٨٩). الى ذلك، تمّ تغييب قائد سرية حرس الحدود العاملة في المنطقة، بمنحه إجازة رسمية، تمهيداً لتنفيذ العدوان الدموي ضد أهالي القرية (**فلسطين الثورة**، نيقوسيا، العدد ٧٤٦، ٢٣/٤/١٩٨٩).

وقائع المجزرة

في حوالى الساعة الرابعة من صباح الخميس، ١٣ نيسان (ابريل) ١٩٨٩، وصلت قوة من حرس الحدود تضمّ حوالى ٧٠ رجلاً، اقلّتهم ١٥ سيارة نقلتهم الى مشارف نحالين، حيث فرضوا عليها حصاراً محكماً لمنع أي من سكانها من مغادرتها أو الهرب منها؛ ثمّ انقسموا الى مجموعات تضمّ كل منها حوالى ١٥ عنصراً. هبطت إحداها، سيراً على الأقدام، الى وسط القرية، فيما التفّت مجموعة أخرى جهة الشمال وتمركزت في نقطة عند سفح التل المشرف على القرية، قبل أن تتحرك المجموعات، مجدداً، نحو نقطة التجمّع وسط نحالين. في حوالى الساعة الرابعة والربع، شوهد افراد حرس الحدود يتحركون في القرية، التي كان سكانها استيقظوا لتناول وجبة السحور، التي تتمّ، عادة، قبل الفجر بقليل؛ وكان بعضهم عائداً لتوّه من مسجد القرية، بعد أداء صلاة الفجر فيه (غرينبرغ، **مصدر سبق ذكره**).

طبقاً لما رواه مواطنون من نحالين، أخذ رجال حرس الحدود يضربون المارّة خلال تحركهم نحو وسط القرية؛ وفجأة تتالت مشاهد العنف: جرّ الجنود أحد الشبان؛ رفسوه بأقدامهم، وضربوه بالعصي، وجعلوه يركض، جيئة وذهاباً، بينهم؛ بينما قام جندي بضرب شاب آخر على رأسه؛ وتعرّضت